(١٥) من تراث الكوثري

التبصير في الدين

وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين

تأليف

الأمام الكبير ، حجة المتكلمين ، المفسر النظار

أبي المظفر الاسفرايني

المتوفى سنة ٤٧١ هـ ، رحمه الله

عرف الكتاب ، وترجم للمؤلف ، وخرج احاديثه ، وعلق حواشيه

العلامة المحدث الكبير

صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

تفضل الاستاذ الدكتور

محمود محمد الخضيري

أستاذ تاريخ الفلسفة الاسلامية بالجامعة المصرية

بكلمة عن الصلة بين علم الفرق وغيره من العلوم

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك ـ خلف الجامع الأزهر الشريف ت : ٢٥١٢٠٨٤٧

رقم الإيـــداع : ٢٢٠٥ / ٢٠١٠
الترقيم الدولي : 978 – 977-315-235-9

حقوق الطبع محفوظة للناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

افتراق الأمة على فرق
وكلمة
عن الإمام أبى المظفر الإسفراينى
وكتاب التبصير له

يقول مطهر بن طاهر المقدسى فى كتاب « البدء والتاريخ » عند الكلام على شرائع أهل الجاهلية : « كان فيهم من كل ملة ودين ، وكانت الزندقة والتعطيل فى قريش ، والمزدقية والمجوسية فى تميم ، واليهودية والنصرانية فى غسان ، والشرك وعبادة الأوثان فى سائرهم ا هـ » . وكانت هـذه البيئة تحتوشها أمم زيغ من كل طراز . ففى مثل هذا الوسط البعيد الغور فى صنوف السقوط بعث الله تعالى سيد المرسلين وخاتم النبيين محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً وداعيًا إلى الله بالحكمة ، والموعظة الحسنة . وبعد مضى نحو ثلاث عشرة سنة من بعثته أذن الله له فى الدفاع عن الحق بالقوة إزاء العنت بعد تمام إقامة الحجة فاستنارت القلوب بنور دعوته ﷺ ، وانقمع أهل الباطل فشمل نور التوحيد بقاع الأرض كلها بانقشاع ظلمات الجاهلية الأولى أمام ذلك النور الوهاج فتبدلت الأرض غير الأرض ، والناس غير الناس .

ولما التحق النبى ﷺ بالرفيق الأعلى بعد أداء رسالته ، وانتشاله الأمة من كبوتها ارتد أناس فى الأطراف ، وحاول أناس تفريق شؤون الدنيا من شؤون الدين بالامتناع عن أداء الزكاة ، فعد الصحابة رضى الله عنهم جميع هؤلاء فى سبيل المرتدين بالنظر إلى أن الدين الإسلامى الكامل فى ذاته جامع فى جوهره وصميمه بين مصلحتى الدنيا والدين ، ومكافح عن المصلحتين ضد المتعنتين بعد اقامة الحجة واستبانة المحجة فعاملوا الفريقين معاملة المرتدين ، فزالت هذه الهاجسة من الرؤوس بحيث لا تنبعث مرة أخرى ما دام للإسلام سلطان على القلوب .

وفى عهد الفاروق ﷺ أخذ رجل يقال له صبيغ بن عسل يسأل عن المتشابه ، ويتكلم فيما لا يعنيه مما قد يحدث فتنًا بين العامة فطلبه عمر وقال له من أنت ؟ قال : أنا عبد الله صبيغ ، وقال عمر : أنا عبد الله عمر · فأخذ يضربه بعراجين النخل حتى أدمى رأسه · فقال صبيغ : حسبك يا أمير المؤمنين قد ذهب الذى كنت أجده فى رأسى ثم نفاه إلى البصرة حتى صلح حاله · هكذا كان سهر عمر على الفاتنين بين العامة بدون شبهة قائمة تستوجب الكشف · ثم لما حدثت الفتن فى عهد ثالث الخلفاء الراشدين ورابعهم ﷺ وجد الفاتنون من الأمم الأخرى المندسون بين المسلمين مرتعًا خصبًا لبذر بذور الشر والفساد بين أهل الإسلام فبدأوا يسعون جهدهم فى تفريق كلمة المسلمين بشتى الوسائل انتقامًا منهم لأممهم فتم لهم بعض ما أرادوه · فكانت الخوارج أول المتجردين لتفريق كلمة المسلمين فى أخطر أيام الإسلام · وأحداثهم السود مما يسود صحف التاريخ ، ولم تكن نشأة الخوارج نتيجة شبه علمية بل كانت من عاطفة سياسية جامحة ، ونشأة فرق الشيعة رد فعل لعمل هؤلاء تستند على عاطفة كتلك العاطفة · لكن أندس بينهم طوائف من الأمم التى لا تضمر للإسلام خيرًا فكدروا صفو التشيع لأهل بيت الرسول صلوات الله عليه وآله فضروا الإسلام فى صميمه ضررًا وبيلا يحمر وجه التاريخ خجلاً من تسجيله وتعليله ·

وفى نشأة المعتزلة يقول أبو الحسين الملطى فى رد الاهواء والبدع - وهو أقدم مصدر يبين وجه التلقيب باسم المعتزلة - : (وهم سموا أنفسهم معتزلة وذلك عندما بايع الحسن بن على عليه السلام معاوية وسلم إليه الأمر اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس - وكانوا من أصحاب على - ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة) وكان لتقدميهم فضل الرد على النصارى واليهود والمجوس والصابئة وصنوف الزنادقة · لكن لكثرة أحتكاكهم بفرق الزيغ وتحكيمهم العقل فى كل شىء وقعوا فى بدع خطرة يأتى شرحها ·

وهكذا عمت البلية ، وشملت المصيبة إلى أن بلغ عدد أصول الفرق وفروعها عددًا كبيرًا ولا سيما بعد اتساع الفتوح ، وتفرغ الناس للجدل فى مسائل كانوا فى غنية عن الخوض فيها لو اكتفوا بالعلوم التى تحتها عمل كما أفضنا فى بيان ذلك فى مقدمة تبيين ابن عساكر ، ومقدمة الرد على نونية ابن القيم ·

وكان لعلماء أصول الدين سعى مشكور فى دفع الشبه وحراسة المعتقد فى

جميع أدوار التاريخ ، ولهم كتب خاصة فى الملل والنحل يجدر بمن يهتم بأمر دينه أن يطلع عليها لأن من اطلع على تاريخ الفرق ، ووجوه تشعبها ، وكيفية تفرع بعضها من بعض ، ازداد بصيرة فى أمر دينه ، وتصونا فى عقيدته ، وعلمًا بأطوار الفكر البشرى فى باب الاعتقاد .

فمن العلماء الذين ألفوا فى الملل والنحل على اختلاف مشاربهم ، وتفاوت مآربهم ، من اختط لنفسه تدوين معتقدات الفرق بدون تعرض للأخذ والرد ، ومنهم من عنى بالرد عليهم ردًا مشبعًا فيما يراهم مخطئين فيه ، ومنهم من غالى فى إلزام أهل الباطل ما يعده لازم قولهم ، وان لم يكن ذلك مصرحًا به فى كتبهم ، ومنهم من عول فى نسبة الآراء إليهم على كتب خصومهم البعداء عن النصفة ، والعالم المحتاط لدينه لا يعزو إلى فرقة من الفرق ، أو شخص من الأشخاص ما لم يره فى كتب المردود عليهم الثابتة عنهم ، أو فى كتب الثقات من أهل العلم المتثبتين فى عزو الأقاويل ، ولا يلزمهم إلا ما هو لازم قولهم لزومًا بينًا لم يصرح قائله بالتبرى من ذلك اللازم ، والخطأ فى باب الاعتقاد خطر إذا كان بحيث يعاند ما ثبت من الدين بالضرورة ، واستساغة ذلك لا تصدر إلا من شذاذ مرضى القلوب ، والخطأ فيما دون ذلك يعد بدعة فى الاعتقاد وإن لم يبلغ حد الكفر الناقل من الملة ، وقد وردت أحاديث فى افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة . منها ما لا نص فيه على الهالك منها ، ومنها ما فيه بيان أن واحدة منها ناجية والباقين هلكى ، ومنها ما يعدهم كلهم ناجين سوى واحدة هى الزنادقة وقد أختلف أهل العلم فى ثبوت تلك الأحاديث ، وعدم ثبوتها كلاً أو بعضًا كما اختلفوا فى المراد بالعدد المأثور ، أو الأمة هل هى أمة الدعوة أم أمة الإجابة ؟ فمنهم من يقول إن العدد لمجرد التكثير كما فى قوله تعالى : ﴿ فى سلسلة ذرعها سبعون ذارعًا ﴾ على ما شرحه المرجانى فى العضدية ، أو أن العدد لا مفهوم له . فلا مانع من الزيادة على العدد المأثور وإن لم يجز النقص ، أو أن القصد إلى أصول الفرق دون فروعها كما أشار إلى هذا وذاك الإمام فخر الدين الرازى فى كتابه فى الملل والنحل وإن سعى فى توهين الحديث فى تفسيره .

ومنهم طائفة تكلفوا حصر العدد فى فرق خاصة لكن قلما تجد اتفاقًا بينهم فى الفرق التى يملأون بها العدد المذكور . فدونك كتاب « **رد الأهواء والبدع** » لأبى الحسين الملطى المتوفى سنة ٣٧٧ وكتاب « **الفرق بين الفرق** » لأبى منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ ، وكتاب « **التبصير** » هذا لأبى المظفر

الاسفراينى المتـوفى سنة ٤٧١ ، وكتـاب « **الملل والنحل** » لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ ، و « **غنية الجيلى** » ، و « **شرح المواقف** » ، و« **خطط المقريزى** » و « **نشر الطوالع** » وغير ذلك مما لا يحصى من الكتب التى تذكر فيها الفرق تجد أصحابها يختلفون فى تعديد الفرق فى صدد إكمال ذلك العدد بدون زيادة ولا نقصان · والأجدر بالقبول عند من يرى صحة الحديث أن لا نتقدم بالحكم على مراد الرسول صلوات الله عليه بدون حجة ظاهرة ، بل المتحتم أن نقول أن الناجى هو من كان على ما عليه الصحابة ﷺ والسواد الأعظم من التمسك بما ثبت من الدين بالضرورة ، وأن الباقين على ضلال · إلا أن تشعب الفرقة لا ينتهى إلى انتهاء تاريخ البشر فلا يصح قصر العدد على فرق دون فرق ولا على قرن دون قرن ، لاستمرار ابتكار أهواء وتلفيق آراء مدة دوام الحياة البشرية فى هذا العالم · فالكلام فى الفرق كلها من غير تقيد بعدد هو الأبعد عن التحكم وهو الذى لا يكون مدعاة لهزء الهازئين من غير أهل هذا الدين ·

ورأى ابن حزم فى حديث افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة هو ما ذكره فى كتاب « الإيمان من الفصل » حيث قال : (ذكروا حديثًا عن رسول الله ﷺ ان القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة · وحديثًا آخر تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها فى النار حاشى واحدة) ·

قال أبو محمد : (هذان حديثان لا يصحان أصلاً من طريق الاسناد وما كان هكذا فليس بحجة عند من يقول بخبر الواحد فكيف من لا يقول به أ هـ) ·

قال ابن الوزير فى « العواصم والقواصم » : (إياك أن تغتر بزيادة كلها فى النار إلا واحدة فإنها زيادة فاسدة ولا يبعد أن تكون من دسيس الملاجدة · وقد قال ابن حزم : بأن هذا الحديث لا يصح) وقال الشمس محمد بن أحمد البشارى المقدسى فى « أحسن التقاسيم » بعد أن عدَّد الفرق وذكر حديث (اثنتان وسبعون فى الجنة وواحدة فى النار) وحديث (اثنتان وسبعون فى النار وواحدة ناجية) : هذا أشهر والأول أصح اسنادًا أ هـ ·

ومن الغريب أن ابن حزم يستدل فى احكامه على بطلان القياس بحديث نعيم بن حماد : (تفترق امتى على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمتى قوم يقيسون الامور برأيهم) مع سقوط هذا الحديث من وجوه عند جماعة أهل العلم بالحديث من

المشارقة بل المغاربة · وهنا لا يتوقف فى الحكم بعدم الصحة على حديث أبى داود ، والترمذى ، وابن ماجة ، عن أبى هريرة (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة) بدون زيادة (اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة) وفى رواية لأبى داود والحاكم بتلك الزيادة ·

ولعل ذلك من جهة وجود محمد بن عمرو الليثى بين رواته ، وهو ممن أخرج له الشيخان فى المتابعات فقد · ومثله لا يحتج بحديثه اذا لم يتابع ويقول الحاكم فى المستدرك بعد أن اخرج الحديث: هذا من شرط مسلم · ويقول الذهبى مستدركًا عليه : محمد بن عمرو لم يحتج به منفردًا ، ولكن مقرونًا بغيره · وأما ما ورد بمعناه فى ابن ماجة ، والبيهقى ، وغيرهما ، ففى بعض أسـانيده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، وفى بعضها ، كثير بن عبد الله ، وفى بعضها عباد بن يوسف ، وراشد بن سعد ، وفى بعضها الوليد بن مسلم ، وفى بعضها مجاهيل كما يظهر من كتب الحديث ، ومن تخريج الحافظ الزيلعى لأحاديث الكشاف ، وهو أوسع من تكلم فى طرق هذا الحديث - فيما أعلم - وابن حزم لا يرى جبر الضعيف بتعدد الطرق ، وأما الحديث الذى أشار إليه البشارى فهو ما أخرجه صاحب مسند الفردوس· حيث قال : (أخبرنا أبو ثابت بن منصور أخبرنا جعفر بن محمد بن الحسين الأبهرى ، حدثنا صالح بن أحمد الحافظ ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب ، حدثنا الحسن بن زولاق حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا يحيى بن يمان عن ياسين الزيات عن سعد بن سعيد أخى يحيى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : (تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا الزنادقة · ح · قال واخبرنا عبدوس أخبرنا أبو منصور أخبرنا الدارقطنى حدثنا محمد بن ثابت ، حدثنا أحمد بن داود حدثنا ، عثمان بن عفان القرشى ، حدثنا أبو اسماعيل حفص بن عبد الله الابلى عن مسعر عن سعد بن سعيد بسنده السابق) وسكت عليه الحافظ بن حجر فى زهر الفردوس ، وسعى العجلونى فى التوفيق بين الحديثين بحمل أحدهما على الابتداء والآخر على الانتهاء ·

وأما حديث (ان **القدرية والمرجئة** مجوس هذه الأمة) فى كلام ابن حزم ففى سنده عند الطبرانى هارون بن موسى الفروى ، أما حديث (**القدرية** مجوس هذه الأمة) عند أبى داود ففى سنده جعفر بن الحارث أورده ابن الجوزى فى الموضوعات

وتعقبه السيوطى ، وأما حديث (صنفان من أمتى ليس لهما من الإسلام نصيب ، المرجئة والقدرية · عند الترمذى ففى سنده على ابن نزار بن حيان وأبوه ، وأما لعن الفريقين على لسان سبعين نبيًا · ففى سنده عند الطبرانى فى الاوسط محمد بن الفضل بن عطية وهو متروك الحديث كذبه غير واحد ·

وبعد هذا التمهيد نتحدث عن كتاب التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين الذى عزم على نشره الأستاذ الأديب السيد عزة العطار الحسينى الدمشقى باهتمام خاص كما هو شأنه فى إحياء مآثر السلف والكتاب جدير بهذا الاهتمام ·

ترجمة المؤلف :

مؤلف هذا الكتاب من كبار أئمة أصول الدين وقد ترجم له عبد الغافر الفارسى فى ذيل تاريخ نيسابور للحاكم كما ترجم له ابن عساكر فى « تبيين كذب المفترى فى ما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى » فى عداد رجال الطبقة الرابعة من الأشاعرة ذاكرًا له بالإمام الكامل ، الفقيه الأصولى المفسر ·

والتاج بن السلكى فى طبقات الشافعية الكبرى ،واصفًا إياه بالإمام الأصولى ، الفقيه المفسر ، والشمس محمد بن على الداودى فى طبقات المفسرين ، وأثنى عليه السيد المرتضى الزبيدى فى شرح الاحياء عند الكلام على أئمة أصول الدين ·

ونص كلمة الداودى فى طبقات المفسرين فى ترجمته : شاهفور بن طاهر بن محمد الأسفراينى الشافعى أبو المظفر المفسر إمام بارع صنف التفسير الكبير المشهور ، وصنف فى الأصول ، وسافر فى طلب العلم ، وحصل الكثير · ارتبطه نظام الملك بطوس فأقام بها سنين ودرس بها العلوم وأفاد الكثير واستفاد الناس منه ·

بعض شيوخ المؤلف :

سمع الحديث من أصحاب (أبى العباس) الأصم ،واصحاب أبى على (حامد بن محمد) الرفاء وكان له اتصال مصاهرة بالأستاذ أبى منصور البغدادى الإمام ، وولد له النسل المبارك ، وهم كانوا وجوه أهل بلخ المشهورين المعروفين بها ، والمتقدمين من علمائها وأئمتها ، توفى الإمام شاهفور بطوس سنة احدى وسبعين وأربعمئة ·

شيء من شعره :

وأنشد الإمام شاهفور لنفسه :

ليس الجواد هو البذول لماله إن الجواد هو المحقر للندى
من غير شكر يبتغيه بجوده كلا ولا منّ لذاك ولا أذى

وأنشد الإمام شاهفور قال انشدنا هلال بن العلاء :

أتعجب أن يقال على دين وقد ذهب الطريف مع التلاد
ولا وجبت على زكاة وهل تجب الزكاة على الجواد

ذكره عبد الغافر الفارسى رحمه الله أ هـ . وشاهفور معرب (شاهبور) وهو فى الأصل بمعنى نجل الملك فى لغة أهل فارس سمى به الإمام أبو المظفر ، وطاهر ليس باسمه وإنما هو اسم أبيه . وكذلك فورك فى الأصل بمعنى النجيل لأن الكاف للتصغير فى لغتهم .

بعض مؤلفاته :

وللإمام أبى المظفر عماد الدين الأسفراينى هذا من المؤلفات « تفسير الكتاب الكريم » باللغة الفارسية وهو مطبوع فى إيران بعناية بعض المستشرقين ، وله أيضًا الكتاب « الأوسط » فى الملل والنحل ، وكتاب « التبصير » هذا هو المعروف بين أهل العلم بكتاب الملل والنحل له ، ولم يزل كتابه هذا موضع عناية بالغة بين أهل العلم على توالى الدهور علمًا منهم ببراعته فى علم اصول الدين ، واجادته تدوين صفوة الصفوة من بحوث أستاذه وحميه أبى منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى صاحب الكتب الممتعة فى الملل والنحل ، ومن بحوث أئمة هذا الشأن أمثال أبى إسحاق الأسفراينى ، وابن فورك الأصبهانى .

وها هو الإمام المجتهد الحافظ الفقيه المتكلم الأوحد أبو بكر بن العربى يقول فى عارضة الأحوذى عن الكلام على حديث أبى هريرة فى افتراق الأمة : وقد ذكر علماؤنا رحمهم الله تعديد الفرق : الروافض عشرون فرقة ، والخـوارج عشرون فرقة ، والقدرية المعتزلة عشرون فرقة ، وسبع فرق فى الأرجاء ، وخمس فرق الضرارية ، والجهمية ، والكرامية ، والنجارية ، وفرقة جهمية مرجئة جمعت بين البدعتين كأبى شمر ، ومحمد بن شبيب ، فهؤلاء اثنتان وسبعون فرقة كلهم على

بدعة ، أوضحهم وعددهم بمقالاتهم الشيخ الإمام أبو المظفر شاهفور ٠٠ ليميز أهل السنة من أهل البدعة لكثرتهم ، وفات أبو المظفر رحمه الله تعالى فرقة سخيفة مكفر على أحد التأويلين وهى التى تقول : لا نقول إلا ما قال الله ورسوله (كلمة - أريد بها الباطل) وتنفى التمثيل الذى يسميه أهل السنة القياس ، وتنكر النظر الذى يعرف الله إلا به ، ويتعلقون فى نفى القياس بحديث يرويه البزار عن نعيم بن حـ عن عيسى بن يونس ، وكان عندنا فى الاندلس رجل يقال له قاسم بن أصبغ ر وروى الحديث وعاد فأسند وادعى أنه لا قياس ولا نظر - ثم بين وجه سقوط نعيم هذا ٠ ثم اعتذر عن الإمام أبى المظفر قائلاً لعله لم يذكر تلك الفرقة لأنها الخوارج بقولها : (لا حكم إلا لله) ، وفرع المعتزلة النظامية باعتبار نفيها القياس أنحى بالأئمة على ابن حزم ثم قال :

قالوا الظواهر أصل لا يجوز لنا ... عنها العدول إلى رأى ولا نظر
قلت اخسأوا فمقام الدين ليس لكم ... هذى العظائم فاستخفوا من الوتر
تأخروا فورود العذب مهلكة ... إلا لمن كان يرجو الفوز فى الصدر
إن الظواهر معدودة مواقعها ... فكيف تحصى بيان الحكم فى الدهر
فالظاهرية فى بطلان قولهم ... كالباطنية غير الفرق فى الصور
كلاهما هادم للدين من جهة ... والمقطع العدل موقوف على النظر
هذى الصحابة تستمرى خواطرها ... ولا تخاف عليها غرة الخطر
وتعمل الرأى مضبوطًا مآخذه ... وتخرج الحق محفوظًا من الاثر
فى الجد معتبر للناظرين فلا ... تطووا لفؤاد على غر من الغرر
والقول أصل وما عال السداد به ... فانظر إليه بقلب صادق الفكر
لما رأيتم عقود الدين فى نسق ... من الجواهر نظمتم من البحر
وإذ صفا منهل الإسلام مطردًا ... رثتم عليه فسقيتم من الكدر
بينوا عن الخلق لستم منهم أبدًا ... ما للأنام ومعلوف من البقر

انتهى ما نقلناه من العارضة ٠ والمصنف رحمـه الله استوفى فى هـذا الكتاب - من غير املال ولا إخلال - بيان عقائد أصحاب الملل والنحل ببعض عنف فى بعض المواقف حيث كان يرى ذلك أجدى فى ترصين السياج حول معتقد أهل الحق

فى عهد استحفال شرور أهل الزيع ، وأجاد فى شرح معتقد أهل السنة فى آخر كتابه جد الإجادة ، وقد غمز الرازى فى الأجوبة البخارية أبا منصور البغدادى بالتعصب والقسوة ، وأبا الفتح الشهرستانى السارى وراءه بذلك أيضًا ، ولكن الثانى ألطف لهجة بكثير ، والتلطف مع أهل الزيغ بعد ثبوت تعنتهم إزاء الحجة القائمة وبعد ظهور خديعتهم وعبثهم فسادًا ليس من شأن أهل العلم الغيورين الذابين عن حريم الدين . وللتاريخ المجرد شأن ، ولحراسة الحق شأن آخر .

وقصارى ما يؤخذ به بعض علماء هذا الشأن عدم التثبت فى عزو الأقوال كما سبق . كافأ الله تعالى المصنف على جميله وحسن صنيعه بتأليف هذا الكتاب ورضى عنه وأرضاه ووفق ناشره الفاضل لإحياء كثير من أمثال هذا الكتاب القيم فى خير وعافية .

يوم الجمعة غرة محرم الحرام سنة ١٣٥٩

محمد زاهد الكوثرى

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله أجمعين وأصحابه البررة الطاهرين اعلموا أسعدكم الله : أن الله تبارك وتعالى أمر عبده بمعرفته فى ذاته وصفاته ، وعدله وحكمته وكماله فى صفته ، ونفوذ مشيئته ، وكمال مملكته ، وعموم قدرته ، ولا تتكامل المعرفة بذلك كله إلا بنفى النقائص عنه ، وبإثبات أوصاف الكمال له من غير أن يشوبه شىء من بدع المبتدعين ، وإلحاد الملحدين وكان أمره تعالى متضمنًا لأمرين : المعرفة بما أوجب معرفته ، والإحاطة بما أوجب عليه مجانبته حتى إذا اجتمع له الوصفان تحقق له وصف الإيمان على سبيل الاتقان والإيقان ، والمفارقة لما يوسوس لكثير منهم من الشبه وحبائل الشيطان فيكون إيمانه كما أخبر الله تعالى به عن إيمان خليل الرحمان حين قال : ﴿ إنى وَجَّهتُ وَجْهِىَ للذى فَطَرَ السّموات والأرض حَنيفًا وما أنا من المُشْركين ﴾[1] . أثنى عليه لهذه المعرفة لجمعه بين المعرفة بكمال أوصافه وميله عن كل معبود يخالفه فى وصفه فوصفه أى الله تعالى الخليل بكونه حنيفًا أى مائلاً عن عبادة الأوثان وحبائل الشيطان وما يخالفه من الطرق والأديان . وبمثله أقر رسوله المصطفى عليه السلام حين قال: ﴿ إنَّ الذين فَرَّقوا دينهمُ وكانوا شيَعًا لَسْتَ منهم فى شىء إنما أمْرهُم إلى الله ثُم ينبِّئهم بما كانوا يفعلون ﴾[2] . وقال : ﴿ فاعلَم أنّه لا إله إلاَّ اللهُ ﴾[3] فأمره بالمعرفة ومغادرة كل دين يخالفه فى حقيقته ، وأمره أن يخبر عن نفسه بصفة معرفته الجامعة لوصفى النفى ومعرفة ما يجب معرفته ، ومجانبة ما تجب مجانبته فقال : ﴿ قل إننى هَدَانى ربّى إلى صراط مُستَقيم دينًا قَيّمًا ملَّة إبْراهيم حَنفًا وما كانَ منَ المُشْركين ﴾[4] . وأمر سبحانه الكافة بكلمة الإيمان لا إله إلا الله جمع فيها بين النفى والإثبات ، وقدم النفى على الإثبات ليعلم أن الإثبات لا يحصل إلا بصيانته عن كل ما يتضمن مخالفته ، وهكذا جمع فى سورة الإخلاص بين النفى والإثبات فوصف نفسه بأوصاف الكمال فى قوله : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ اللهُ الصَمَدُ ﴾[5] ونفى عن نفسه النقصان

(١ ، ٢) سورة الأنعام ٧٩ و ١٥٩ .
(٣) سورة محمد ١٩ .
(٤) سورة الأنعام ١٦١ .
(٥) سورة الإخلاص .

بقوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ولَم يكُن لَهُ كُفُوًا احَد ﴾[1] حتى قال أهل المعارف، فى تحقيق صفة الصمد أنه يتضمن إثبات كل صفة لا يتم الخلق إلا بها · ونفى كل صفة لا يجوز وصفه بها · لأن الصمد فى اللغة هو السيد الذى يرجع إليه فى الحوائج ، وهذا يوجب له إثبات صفات الكمال التى يتم بها اتساق الأفعال وقد جاء إيضاح اللغة فى تفسيره أن الصمد هو الذى لا جوف له ، وهذا يتضمن نفى النهاية ، ونفى الحد والجهة ، ونفى كونه جسمًا أو جوهرًا لأن من اتصف بشىء من (**تلك**) الأوصاف لم يستحل اتصافه بالتركيب ووجود الجوف له ، وتقرر بهذه الجملة وجوب المعرفة بالنفى والإثبـات والتمييز بين الحق والباطل ومن لم يتحقق له (**معرفة نفى**) صفة الباطل لم يتحقق له (**معرفة إثبات**) صفة المعرفة بالحق ·

وقد كان أصحـــاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الحق لصحة الاعتقاد والمعرفة ، وعن الباطل والشر للتمكن من المجانبة حتى قال حذيفة بن اليمان : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر · وإنما كان بفعله لتصح له مجانبته لأن من لم يعرف الشر يوشك أن يقع فيه كما قال الشاعر :

عرفت الشرَ لا للشرّ لكن لتوقيه ومَنْ لا يَعْرف الشر من الناس يقع فيه

وقد أخبر رسول الله ﷺ أنه سيظهر فى زمن الإسلام من الفرق المختلفة ما ظهر فى الأديان قبله فقال : « افترقت اليهود احدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصـارى اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتى ثلاثًا وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا واحدة » · فقيل يا رسول الله من الناجية ؟ فقال « ما أنا عليه وأصحابى »[2] وفى خبر آخر أنه قال الجماعة ·

وروى عبد الله بن عمر بن الخطاب أن النبى ﷺ قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبيضُّ وُجُوه وتَسْوَدُّ وُجُوه فأما الذين اسْوَدَّت وُجُوهُهُمْ أكَفَرْتُم بَعد إيمانكُم فَذُوقوا العَذَابَ بما كُنتُم تكْفُرُون ﴾[3] إن الذين ابيضت وجوههم هم الجماعة ، والذين اسودت وجوههم أهل الأهواء فبين رسول الله ﷺ أن هذه الأمة يلتبس بها وينسب إلى جملتها كثير من أهل الأهواء يفارقونهم فى حقيقة الإيمان ، وإن كانوا

---

(١) سورة الإخلاص ·

(٢) أخرجه أبو داود وابن حبان والحاكم وغيرهم ·

(٣) سورة آل عمران ١٠٦ ·

يلتبسون بهم فى ظاهر الحال فلا بد للمؤمن من أن يعرف حالهم حتى يتميز عنهم ويصون عقيدته عما هم عليـــه من البدع ، ولا يكون كمن وصفه الله حيث قال : ﴿ وَمَا يُؤمِنُ أكثَرُهُم بالله إلا وَهُم مُشركُون ﴾[1] وقد قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر - أى الكفر ، ولا يبقى فى النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان »[2] وإنما يحصل مثقال ذرة من الإيمان باعتقاد صحيح سليم عن جميع شوائب البدع والإلحاد وأنواع الكفر وما لم يتبين العاقل أوصاف البدع وأهلها لم يتقرر له حقيقة الإيمان المستخلص عن جميعها وكلام النبى ﷺ صدق ، ووعده حق ، وهذا الذى أخبر عن وجود فرق الضلال فيما بين المسلمين لا محالة كائن . وقد اختلف مشايخ أهل التحقيق من علماء المسلمين فيه فقال بعضهم : لم يتكامل وجود هذه الفرق من أهل البدع بين المسلمين بعد ، وإنما وجد بعضهم وسيوجد بعدهم قبل يوم القيامة جميعهم فإن ما أخبر الرسول ﷺ كائن لا محالة . وقال الباقون وهم الذين يتتبعون التواريخ ويفتشون عن المقالات المنقولة من أرباب المذاهب المتسمة بسمة الإسلام أن تمام هذه الفرق الضالة قد وجدت فى زمرة الإسلام ووجب على المرء المحصل أن يميز عقيدته عن عقائدهم الفاسدة ، ودينه عن أديانهم الضالة ، وقد ظهر فى بلاد الإسلام أقوام من أهل البدع يخدعون العوام ويلبسون عليهم الأديان ، وينتسبون إلى فريقى أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث والرأى ويستظهرون بصدور لا يعرف حالهم من صدور أهل الإسلام ليتقوى بهم على خداع أهل الغرة من المسلمين ويظهرون به للأغمار أن لهم الغلبة والقوة ولا يعرف الجاهل بأحوالهم . إن الباطل قد يكون له جولة ثم يسقط كما سارت به الأمثال على لسان الكافة « أن الباطل يجول جولة ثم يضمحل » وكما يقال : « الحق ابلج ، والباطل لجلج » وقال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الذينَ آمَنوا بالقول الثَابت فى الحَياةِ الدُنيا وفى الآخرة وَيضلُّ اللهُ الظَالمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاء ﴾[3] .

فاردت أن أجمع كتابًا فارقًا بين الفريقين ، جامعًا بين وصف الحق وخاصيته والإشارة إلى حججه ووصف الباطل وحد شبهه ليزداد المطلع عليه استيقانًا فى دينه ، وتحقيقًا فى يقينه ، فلا ينفذ عليه تلبيس المبطلين ، ولا تدليس المخالفين للدين .

---

(١) سورة يوسف ١٠٦ .
(٢) أخرجه مسلم .
(٣) سورة إبراهيم ٢٧ .

وقسمته بحـــول الله وقوته عُلى خمسة عشر بابًا جامعة لبيان أوصاف عقائد أهل الدين ، وفضائح أهل الزيغ والملحدين ، والله تعالى وَلِّيُ التوفيق لإتمامه بفضله وانعامه أنه على ما يشاء قدير ، وبالفضل والإحسان جدير ·

الباب الأول : فى بيان أول خلاف ظهر فى الإســـلام بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وما ظهر من الخلاف فى أيام الصحابة أو قريبًا منهم ·

الباب الثانى : فى بيان فرق الأمة على الجملة ·

الباب الثالث : فى تفصيل مقالات الروافض وبيان فضائحهم ·

الباب الرابع : فى بيان مقالات الخوارج وبيان فضائحهم ·

الباب الخامس : فى تفصيل مقالات القدرية الملقبة بالمعتزلة وبيان فضائحهم ·

الباب السادس : فى تفصيل مقالات المرجئة وبيان فضائحهم ·

الباب السابع : فى تفصيل مقالات النجارية وبيان فضائحهم ·

الباب الثامن : فى تفصيل مقالات الضرارية وبيان فضائحهم ·

الباب التاسع : فى تفصيل مقالات البكرية وبيان فضائحهم ·

الباب العاشر : فى تفصيل مقالات الجهمية وبيان فضائحهم ·

الباب الحادى عشر : فى تفصيل مقالات الكرامية وبيان فضائحهم ·

الباب الثانى عشر : فى تفصيل مقالات المشبهة وبيان فضائحهم ·

الباب الثالث عشر : فى بيان فرق ينتسبون إلى دين الإسلام ولا يعدون فى جملة المسلمين ، ولا يكـــونون من جملة الاثنتين والسبعين وهم أكثر من عشرين فرقة ·

الباب الرابع عشر : فى بيان مقالات أقوام من الملحدين كانوا قبل ظهور دولة الإسلام وإنما أذكر جملة منهم ·

الباب الخامس عشر : فى بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة وبيان ما لهم من المفاخر والمحاسن والآثار فى الدين ، وذكرت فى كل باب ما يقتضيه شرطه على حد الاقتصار والاعتدال مصونًا من الإملال والإكثار بفضل الله وتوفيقه ·

* * *

الباب الأول

فى بيان أول خلاف ظهر بعد المصطفى وفى أيام الصحابة أو قريبًا من عهدهم

اعلم أن المسلمين وقت النبى ﷺ وبعد وفاته كانوا على طريق واحدة لم يكن بينهم خلاف ظاهر ، ومن كان بينهم من المخالفين المنافقين ما كان يتمكن من إظهار ما كان يستسره من أخباره ، فكان أول خلاف ظهر بين المسلمين اختلافهم فى وفاة رسول الله ﷺ حتى قال قوم منهم : إنه لم يمت ، ولكنه رفع كما رفع عيسى بن مريم . وارتفع هذا الخلاف ببركات أبى بكر الصديق رضي الله عنه[1] حين صعد المنبر وخطب خطبة وتلا عليهم قوله تعالى : ﴿ إنَّك ميت وإنهم ميّتون ﴾[2] ثم قال: « مَنْ كانَ يَعبد مُحمدًا فإن محمدًا قـد مَات ، ومن كان يعبدُ ربّ مُحمد فإنه حىٌّ لا يَموت »[3] فسكنت النفوس ، واطمأنت القلوب ، واذعنت له الرقاب ، واعترفت الكافة بما ظهر من الأمر وزال الخلاف .

الثانى : انهم اختلفوا فى موضع دفنه ﷺ . قال قوم : إنه يدفن بمكة لأنها مولده ، وبها قبلته ، وبها مشاعر الحج ، وبها نزل عليه الوحى ، وبها قبر جده إسماعيل عليه السلام وقال آخرون : انه ينقل إلى بيت المقدس فإن به تربة الأنبياء ومشاهدهم صلوات الرحمن عليهم .

وقال أهل المدينة : أنه يدفن فى المدينة لأنها موضع هجرته ، وأهلها أهل نصرته . فزال هذا الخلاف ببركة الصـديق حين روى أن رسـول الله ﷺ قال :

---

(١) هو عبد الله بن أبى قحافة التيمى القرشى أول الخلفاء الراشدين ولد بمكة ، ونشأ سيداً من سادات قريش ، وعينًا من كبار موسريهم ، وعالمًا بانساب القبائل وأخبارها ، وكان العرب يلقبونه (عالم قريش) بويع بالخلافة يوم وفاة النبى ﷺ سنة ١١هـ فحارب المرتدين وافتتحت فى أيامه الشام وقسم كبير من العراق ولد سنة ٥١ قبل الهجرة وتوفى بالمدينة سنة ١٣ هـ .

(٢) سورة الزمر ٣٠ . (٣) أخرجه البخارى فى تاريخه .

« الانبياء يدفنون حيث يقبضون »[1] فقبلوا منه روايته ورجعوا إلى قوله ودفنوه فى حجرته .

الثالث : اختلافهم فى باب الإمامة . فقالت الانصار منا إمام ومنكم إمام ، وطال بينهم الكلام فى ذلك حتى صعد الصديق رضي الله عنه المنبر وخطب ثم تلا عليهم قوله تعالى : ﴿ للفقراء المُهاجرين الذينَ أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يَبْتَغون فَضْلاً منَ الله ورضْوانًا ، ويَنْصرُونَ اللهَ ورَسُلَه أولئكَ هُمُ الصادقُون ﴾[2] قال فسمانا الصادقين ثم أمر المؤمنين - أى الله تعالى - أن يكونوا مع الصادقين بقوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمنوا اتقوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادقين ﴾ وروى لهم أن رسول الله ﷺ قال : « الأئمة من قريش »[3] فصدقوه فى روايته ، ونزلوا على قضيته واتفقوا على قوله فزال هذا الخلاف أيضًا ببركة الصديق ، ثم حدث فيه خلاف قوم من الخوارج حيث قالوا بجواز الخلافة فى غير قريش كما نذكره إن شاء الله تعالى .

الخلاف لا يكون خطراً إلا إذا كان فى أصول الدين ، ولم يكن اختلاف بينهم فى ذلك بل كان اختلاف من يختلف فى فروع الدين مثل مسائل الفرائض فلم يقع خلاف يوجب التفسيق والتبرى . هكذا جرى الأمر على السداد أيام أبى بكر وعمر[4] وصدر من زمان عثمان[5] ثم أختلف فى أمر عثمان وخرج عليه قوم منهم فكان من أمره ما كان .

---

(١) وردت بمعناه أحاديث كثيرة فى الموطأ وطبقات ابن سعد وغيرهما .

(٢) سورة الحشر ٨ .

(٣) مع شهرة هذه الحكاية بين المتكلمين لم يثبت احتجاج أبى بكر بهذا الحديث يوم البيعة ، وإن كان الحديث وارداً بسند جيد عند الطبرانى وغيره كما يظهر من تلقيح الفهوم فى تنقيح صيغ العموم للحافظ العلائى .

(٤) هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى . ثانى الخلفاء الراشدين ، وأول من لقب بأمير المؤمنين ، وهو أحد العمرين اللذين كان النبى صلى الله عليه وسلام يدعو ربه أن يعز الإسلام بأحدهما ولد سنة ٤٠ قبل الهجرة ومات مقتولا بيد أبى لؤلؤة فيروز الفارسى المجوسى سنة ٢٣ هـ .

(٥) هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية من قريش . أمير المؤمنين ذو النورين ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة ولد سنة ٤٧ قبل الهجرة ومات مقتولاً سنة ٣٥ هـ لقب بذى النورين لأنه تزوج بنتى النبى ﷺ رقية ثم أم كلثوم .

ثم بعد ذلك حدث الاختلاف فى أمر على[1] وفى حال أصحاب الجمل وصفين ، وفى حال الحكمين وظهر من ذلك خلاف الخوارج فى أيام على رضي الله عنه كما سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وظهر فى وقته ايضًا خلاف السبأية من الروافض وهم الذين قالوا أن عليًا آله الخلق حتى احرق على جماعة منهم ، وظهر بعد ذلك سائر أصناف الروافض كما نذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وظهر فى أيام المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية ، وكانوا يخوضون فى القدر والاستطاعة كمعبد الجهنى[2] وغيلان الدمشقى[3] وجعد بن درهم[4] . وكان ينكر عليهم من كان قد بقى من الصحابة كعبد الله بن عمر[5] وعبد الله ابن عباس[6] وعبد الله بن أبى أوفى[7]

---

(١) هو أبو الحسن على بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشى أمير المؤمنين ، رابع الخلفاء الراشدين وإحد العشرة المبشرين بالجنة وابن عم النبى ﷺ وصهره وأحد الشجعان الأبطال ، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء . ربى فى حجر النبى ﷺ ولم يفارقه . ولد سنة ٢٣ قبل الهجرة ومات مقتولاً سنة ٤٠ هـ .

(٢) هو ابن خالد الجهنى البصرى اختلفوا فى اسم أبيه وهو أول من تلكم فى القدر . رأى من يتعلل فى المعصية بالقدر ، فأراد أن يرد عليه وأخطأ الطريق وقال : « لا قدر والأمر أنف » فعم كلامه فنبذه الصحابة والتابعون حيث ضل طريق الرد على العاصى . قال أبو حاتم : قدم المدينة فأفسد بها ناسًا . أخرج له ابن ماجة خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج بعد سنة ثمانين .

(٣) هو ابن مسلم القبطى . أخذ مذهب القدر عن معبد ، واستبانه عمر بن عبد العزيز ثم قتله هشام بن عبد الملك ، وكان من بلغاء الكتاب أفسد بعض علماء مكة .

(٤) هو استاذ مروان بن محمد الجعدى آخر ملوك بنى أمية وكان أول من قال بخلق القرآن ، وقد ذبحه خالد بن عبد الله القسرى فى عيد الأضحية على المشهور .

(٥) ابن الخطاب العدوى : صحابى من أعز بيوتات قريش فى الجاهلية غزا افريقية مرتين الأولى مع ابن أبى سرح ، والثانية مع معاوية بن حديج سنة ٣٤ هـ . كف بصره فى آخر حياته ولد سنة ١٠ قبل الهجرة ومات سنة ٧٣ هـ .

(٦) ابن عبد المطلب القرشى الهاشمى : حبر الأمة الصحابى ، كف بصره فى آخر عمره ولد سنة ٣ قبل الهجرة ، وتوفى سنة ٦٨ هـ .

(٧) صحابى ابن صحابى توفى بالكوفة سنة ٨٧ هـ رضي الله عنه .

وجابر[١] وأنس[٢] وأبى هريرة[٣] وعقبة بن عامر الجهنى[٤] وأقرانهم . وكانوا يوصون إلى اخلافهم بأن لا يسلموا عليهم ولا يعودوهم إن مرضوا ، ولا يصلوا عليهم إذا ماتوا . ثم ظهر بعدهم فى زمان الحسن البصرى[٥] بالبصرة خلاف واصل بن عطاء الغزال[٦] فى القدر ، وفى القول بمنزلة بين المنزلتين ، ووافقه عمرو بن عبيد[٧] فيما أحدثه من البدعة فطردهم الحسن البصرى من مجلسه فاعتزلوه باتباعهم جانبًا من المسجد فسموا معتزلة لاعتزالهم مجالس المسلمين[٨] وقولهم بمنزلة بين المنزلتين وزعمهم أن الفاسق الملى لا مؤمن ولا كافر ، وأن الفساق من أهل الملة خرجوا من الإيمان ولم يبلغوا الكفر وأنهم مع الكفار فى النار خالدين مخلدين لا يجوز لله تعالى أن يغفر لهم ، وأنه لو غفر لهم لخرج من الحكمة . ولما اظهروا هذه المقالة هجرهم المسلمون وخذلوهم كما كان قد أوصى إليهم أسلافهم من الصحابة .

ثم ظهر خلاف النجارية فى أيام المأمون الخليفة واستعد جماعة منهم بالرى ونواحيها ، ثم ظهر أيضًا دعوة الباطنية[٩] من حمدان قرمط ، وعبد الله بن ميمون

---

(١) جابر بن عبد الله الأنصارى : صحابى جليل توفى بالمدينة المنورة سنة ٧٨هـ رضي الله عنه .

(٢) هو انس بن مالك بن النضر الأنصارى صاحب رسول الله ﷺ وخادمه ولد فى المدينة سنة ١٠ قبل الهجرة وتوفى فى البصرة سنة ٩٣ هـ رضي الله عنه .

(٣) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسى : صحابى جليل أكثر من رواية الحديث جداً توفى سنة ٥٧ هـ رضي الله عنه .

(٤) صحابى توفى فى حدود سنة ٦٠ هـ رضي الله عنه .

(٥) هو ابن يسار البصرى : إمام مشهور له ترجمة واسعة فى الكتب توفى سنة ١١٠ هـ مستهل رجب عن ٨٩ سنة .

(٦) له ترجمة واسعة عند ابن خلكـــان أخذ عن أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، والحسن البصرى ، ومنه انتشر الاعتزال بالبصرة بانضمام عمرو بن عبيد إليه وقيل بالعكس توفى سنة ١٣١ هـ .

(٧) هو زاهد المعتزلة بالبصرة يثنى عليه أبو جعفر المنصور ، ولا يرضاه المحدثون من أهل السنة توفى سنة ١٤٢ هـ .

(٨) أقدم من رأينا كلامه هذه الحكاية فى سبب تلقيبهم بالمعتزلة هو أبو منصور البغدادى وسبق قول أبى الحسين الملطى فى المقدمة .

(٩) وتفصيل أحوالهم فى كشف أسرار الباطنية .